العرب
الأربعاء 2021/03/10
السنة 43 العدد 11995

ارتباك إيران.. وارتكاباتها

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

رفضت إيران الوساطة الأوروبية لاستئناف الحوار بشأن الملف النووي، وتصرّ على أن الحديث لن يبدأ تحت سوط العقوبات. بينما تبدو خطة الرئيس السابق دونالد ترامب لتخريب نوايا العودة إلى الاتفاق فاعلة ومؤثرة حتى الآن.

في المقابل ترفع طهران من ثمن التأخير في العودة، من خلال زيادة كمّية وحدّة هجماتها الموزعة في كل محيطها، لتضع المزيد من الضغط على الإدارة الأميركية الجديدة، لإحراجها وتذكيرها بأنها ليست مستعدة لتدفع ثمنا جديدا لاتفاق مختلف أو معدّل، ولن تهدأ بنادقها "العربية" إلا بالعودة الكاملة إلى الاتفاق القديم.

يريد الرئيس الأميركي جو بايدن وطاقمه العودة إلى الاتفاق بأي ثمن. وتبدو الإدارة الأميركية، في بعض الأحيان، وكأنها ترجو من إيران أن تقبل الدعوات الملقاة على قارعة الرجاء، وتلتقط إشاراتها المستمرة، لكن طهران تشدّ الحبل، وتتمنّع عن القبول، طالما العقوبات قائمة.

إيران تترقب انتخابات حاسمة وترشح التوقعات فوز دفعة جديدة من المحافظين، وفي هذه الأجواء تبدو سياسة العناد التي تبديها حكومة روحاني بمثابة استرضاء للتيار المتشدد واستبقاء لحظوظ ما يوصف بالمعتدلين

لعبة شد الحبل بين الجانبين ليست دليلا كافيا على أن المسألة تواجه طريقا مسدودا. وربما تُفاجأ المنطقة، في وسط هذا التوتر والترقب، باتفاق جديد أو عودة لما كان قائما، بعد أن يفرش بايدن السجادة الحمراء لتسهيل كل العقبات ورفع كل العراقيل، ليفوز بالعودة التي وعَد بها ويتوق إليها.

تمطر ميليشيات إيران القواعد الأميركية في أربيل بوابل من الصواريخ المجهولة، وتشجب التدخلات التركية في العراق، وتهاجم السفن في مياه الخليج العربي، ويرفع وكلاؤها الحوثيون في اليمن من معدّل هجماتهم في مأرب وعلى مواقع مدنية داخل السعودية، وتوشك على تفجير سفارة الإمارات ودبلوماسييها في إثيوبيا. بينما تكتفي إدارة بايدن بهجمات متواضعة على البوكمال السورية، للإيحاء بأن تصرفات طهران مرفوضة وأن إيران لن تفلت من العقاب. رسالة هزيلة بينما طهران تستبيح المزيد من الخطوط الحمراء.

تترقب إيران انتخابات حاسمة في مرحلة مفصلية، وترشح التوقعات فوز دفعة جديدة من المحافظين المتشدّدين بالمنافسة. وفي هذه الأجواء تبدو سياسة العناد التي تبديها حكومة روحاني بمثابة استرضاء للتيار المتشدد واستبقاء لحظوظ ما يوصف بالمعتدلين في إيران، خاصة بعد أن جاء نقض واشنطن للاتفاق في عهد ترامب بمثابة تصديق لوجهة نظر المتشدّدين في عدم الثقة بالغرب، وخصم بالتالي من رصيد "المعتدلين".

وفي جميع الأحوال لا تبدو اللعبة المزدوجة بين الصقور والحمائم مقبولة في ظل السيطرة البشعة لميليشيا الحرس الثوري على توجهات إيران، وسياسة العناد والإيغال في التصلّب والصلف لن تكون حلا ناجعا ولا مناسبا لأزمة البلاد التي تشتد ضراوتها وكلفتها على الشعب الإيراني المغلوب على أمره.

وجّه الرئيس الأسبق محمد خاتمي رسالة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، إلى المسؤول الأول في البلاد المرشد علي خامنئي، تتضمن مقترحات وحلولا للسنوات العشر المقبلة في إيران.

مثله فعل الرئيس السابق أحمدي نجاد، بتوجيهه رسائل كثيرة إلى خامنئي الذي يرفض استقباله منذ أربع سنوات، في إطار بحثه عن دور سياسي جديد، سواء كان ذلك جزءا من لعبة النظام الإيراني لفرش الخطوط وإعطاء انطباع على التنوّع، أم كان موقفا مبدئيا يعبّر عن تيار جديد يضيق بواقع البلاد، ويرشح عن ثقوب التدهور الذي يشلّ كل القطاعات.

هناك آلية روّجها الإعلام، في أن التيار الإصلاحي يمكن التعاون معه للخروج من حالة الصدام المطلق للوصول إلى درجة من التفاهم المقبول، وأن الإقليم والمجتمع الدولي مسؤولان عن مساعدة هذا التيار ورفع حظوظه وتقوية جانبه في وجه التيار المتشدّد، وأن أزمة 2009 التي عصفت بإيران وشملت احتجاجات وسلسلة قمع وسجن وإعدامات، كانت بمثابة كسر عظام بين الجانبين.

لكنها آلية مفترضة لم يجر التحقق منها عربيا، ذلك لأن السياسات المتبعة في المنطقة تدور في إطار رد الفعل، وليست جزءا من منهجية واضحة ومقنّنة ومرتكزة على الفهم واختبار الواقع والإحاطة بتفاصيله وتشابكاته، وهذا ما ينعكس على تواضع مردود السياسات ونجاعة الخطوات المتخذة إزاء كل التحدّيات.

في ظل كل هذه التحولات، تبدو المنطقة ذات الغالبية العربية مستعجلة للتحضير والاستعداد للمرحلة المقبلة؛ ما هي خياراتها وفرصها، ما موقع إسرائيل التي تشاركها نفس الضيق من إيران، وهل سيسمع الصوت العربي في أي مقاربة بشأن مستقبل المنطقة، وما الموقف في حال جرى تجاهل مآخذ ومطالب دول المنطقة من أي تفاهم مرتقب، سواء كان يجري سرّا الآن، أو هو على وشك الحدوث قريبا.. والكثير من الأسئلة المزمنة التي تدور ولا تقدم لها إجابات.

تحظى تل أبيب بعلاقة تفضيلية من واشنطن، وتجري تفاهمات إسرائيلية أميركية خلف الكواليس بشأن إيران. وفي المقابل تنوي إسرائيل عقد ترتيبات أمنية خاصة مع دول خليجية لمواجهة النفوذ الإيراني في المنطقة.

لن يكون هذا كافيا للجانب العربي من القصة. بل هو قلة حيلة وضعف في الأوراق المكشوفة أمام قوى دولية تستوفي مصالحها وتساند إسرائيل، ولا تقيم أي اعتبار أو تقدير لوجهة نظر الدول العربية تجاه المسائل المهمّة.

رسائل إيرانية إلى أميركا تنطلق من اليمن

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليست الصواريخ والطائرات المسيّرة التي يطلقها الحوثيون "أنصارالله" في اتجاه الأراضي السعودية، بما في ذلك منشآت نفطية حيوية، سوى رسائل إيرانية إلى الإدارة الأميركية الجديدة. هل تأخذ واشنطن علما بذلك... أم تستمر في سياسة تعكس نوعا من الجهل بالوضع اليمني؟

تعتقد "الجمهورية الإسلاميّة" أن لديها ما يكفي من الأوراق في المنطقة كي تجبر إدارة جو بايدن على التفاوض معها بشروطها. تظنّ أنّها استطاعت تحويل شمال اليمن الذي يسيطر عليه الحوثيون إلى قاعدة إطلاق صواريخ إيرانية. تظنّ أن سوريا باتت "ساحة" إيرانية، كذلك لبنان، فيما العراق، الذي يقاوم الاحتلال الإيراني، شبه رهينة لديها بفضل "الحشد الشعبي" الذي ليس سوى رديف لـ"الحرس الثوري" الإيراني.

ما تكشفه ردود الفعل الإيرانية، خصوصا عبر تصرفات "أنصارالله" تجاه السعودية، ليس سوى إفلاس بكل ما في كلمة إفلاس من معنى. ليست هذه الصواريخ والطائرات المسيّرة المفخخة التي تطلق من اليمن سوى دليل على مدى معاناة إيران من العقوبات الأميركية التي فرضتها الإدارة السابقة. كشفت إدارة دونالد ترامب أن إيران ليست سوى نمر من ورق. لذلك، نجدها تستغلّ اليوم فرصة ناجمة عن رغبة إدارة جو بايدن في العودة إلى الاتفاق في شأن ملفّها النووي كي تثبت أنّ في استطاعتها ممارسة لعبة الابتزاز والذهاب فيها إلى أبعد حدود ممكنة.

ليست لعبة الابتزاز سوى لعبة قديمة لا تصلح للسنة 2021. هذا يعود أوّلا إلى أن أوراق إيران ليست أوراقا، خصوصا أن السعودية قادرة على الدفاع عن نفسها وعن وجهة نظرها في ما يخصّ اليمن. يحصل ذلك في حين سيتوجّب على الإدارة الأميركية اكتشاف أن سياستها اليمنية خاطئة إلى حدّ كبير. يعود ذلك إلى أنّ الحوثيين، خلافا لما يعتقده الأميركيون، ليسوا أحرارا في اتخاذ قرارهم. كلّما مرّ الوقت، يتبيّن أنّ "أنصارالله" ورقة إيرانية وأن الحاكم الفعلي للمنطقة التي يسيطرون عليها في اليمن هو السفير الإيراني في صنعاء.

يفترض بواشنطن إعادة النظر في سياستها اليمنية، وهي سياسة اعتمدت في عهد باراك أوباما. تقوم تلك السياسة على أن الحوثيين ليسوا مشكلة وأن لا مشكلة في اليمن سوى "القاعدة". أكثر من ذلك، كان الاعتقاد السائد لدى كبار المسؤولين الأميركيين في عهد أوباما أن الحوثيين أداة تصلح لمواجهة تنظيم "القاعدة" الذي استطاع الانتشار في اليمن وكان وراء جرائم كثيرة من بينها استهداف المدمّرة الأميركية "كول" في أثناء رسوّها في ميناء عدن في تشرين الأول -أكتوبر من العام 2000.

آن أوان حصول مراجعة أميركية للسياسة المتبعة في اليمن، وهي سياسة تجاوزها الزمن، خصوصا بعدما تبيّن لدى الحوثيين أجندة وحيدة هي الأجندة الإيرانية. هؤلاء يستفيدون من دون شك من عوامل عدة في مقدمها ضعف "الشرعية" اليمنية وعجزها عن مواجهتهم في أيّ من المناطق اليمنية. أكثر من ذلك، هناك تواطؤ بين الإخوان المسلمين الذين يشكلون جزءا من "الشرعية" و"أنصارالله". ظهر هذا التواطؤ في مناسبات عدّة كانت إحداها في كانون الأول -ديسمبر 2017، عندما أخلى الحوثيون جبهة نهم المهمّة وركزوا على مهاجمة الرئيس السابق علي عبدالله صالح تمهيدا لاغتياله بدم بارد في صنعاء. لم يحصل وقتذاك أي استغلال لـ"الشرعية" لهذا الإخلاء للجبهة، بل إنّ ما حصل كان تفاهما من تحت الطاولة مع "أنصارالله".

في كلّ الأحوال، المطروح حاليا عودة الولايات المتحدة إلى طاولة المفاوضات مع إيران وقبولها رفع العقوبات عن "الجمهورية الإسلامية"، بل دفع تعويضات لها. هل هذا ممكن؟ هل ينفع الأسلوب الإيراني هذا في التعاطي مع إدارة جو بايدن التي يفترض أن يكون فيها من يعرف تماما ما هي إيران؟

تكمن المشكلة بكل بساطة في أنّ إيران لا تستطيع أن تكون دولة طبيعية. لا تدرك أنّها لا تمتلك الوسائل التي تسمح لها بالبقاء إلى ما لا نهاية لا في سوريا ولا في العراق ولا حتّى في لبنان. أمّا اليمن، فهو مسألة أكثر تعقيدا لأسباب عدّة من بينها النجاح الذي حققه الحوثيون في تطويع المجتمع القبلي في الشمال وسيطرتهم على صنعاء.

إيران تستغل اليوم فرصة ناجمة عن رغبة إدارة جو بايدن في العودة إلى الاتفاق في شأن ملفها النووي، كي تثبت أن في استطاعتها ممارسة لعبة الابتزاز والذهاب فيها إلى أبعد حدود ممكنة

قد تنجح إيران في اليمن، خصوصا في حال بقيت السياسة الأميركية على حالها. مثل هذا النجاح مرشّح لأن يكون مؤقتا لا أكثر. في المدى الطويل، لا يمكن فصل اليمن عن الملفات التي ستفرض نفسها وهي ملفات مرتبطة بالصواريخ الباليستية والصواريخ المجنّحة الإيرانية وبسلوك "الجمهورية الإسلامية" خارج حدودها. بكلام أوضح إنّ الصواريخ والسلوك الإيراني مرتبطان عضويا بالملفّ النووي الإيراني. لا يمكن العودة إلى الاتفاق في شأن الملفّ النووي الإيراني من دون أخذ في الاعتبار لملفي الصواريخ والسلوك الإيراني. هذا مطلب أوروبي إضافة إلى أنّه مطلب أميركي.

مشكلة إيران في أن الرسائل التي تبعث بها إلى أميركا عبر السعودية ذات فائدة محدودة إلى حدّ كبير. فوق ذلك، إنّ الإدارة الأميركية يمكن أن تقدّم لها مغريات من هنا وهناك وهنالك، كما حصل أخيرا عندما أفرجت كوريا الجنوبية عن أموال مجمّدة عائدة إلى إيران. لكنّ السؤال الذي سيطرح نفسه عاجلا أم آجلا هل مقبول أن تكون المنطقة تحت الهيمنة الإيرانية؟

مثل هذا الأمر ليس طبيعيا نظرا إلى أنّ إيران تستطيع أن تهدم، لكنها لا تستطيع أن تبني. هناك فارق كبير بينها وبين أميركا التي تستطيع ممارسة لعبة الانتظار على الرغم من سقوطها في فخّ الحوثيين في اليمن.

الأهمّ من ذلك كلّه أن العرب في الخليج، على رأسهم السعودية، ليسوا نكرة بغض النظر عن سياسات التهاون التي يمكن أن تمارسها واشنطن بين حين وآخر. لعلّ أفضل دليل على ذلك الدعم العربي السعودي – الإماراتي – الكويتي للثورة على حكم الإخوان المسلمين في مصر في حزيران -يونيو 2013. كانت إدارة أوباما متواطئة مع الإخوان المسلمين على مصر وشعبها وقتذاك. لم ينتظر الخليجيون ما تريده أميركا. فعلوا ما يتفق ومصلحتهم لا أكثر ولا أقلّ... وسيفعلون ذلك متى تطلّب الأمر الاعتراض على سياسة أميركية بعيدة كلّ البعد عن فهم اليمن وما يدور فيه.